## (٢٧)

## باب ما جاء في التطير

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب: ما جاء في التطير).

ش: أي من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تطير يتطير، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن اسم مصدر من تطير طيرة، كما يقال: تخير خيرة، ولم يجئ في المصادر على هذه الزنة غيرهما، وأصله: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر.

قال المدائني [1] سألت رؤبة بن العجاج قلت: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد.

ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ذكرها المصنف رحمه الله في كتاب التوحيد تحذيرًا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١])

ش: ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١] الآية.

المعنى: أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة، أي الخصب والسعة والعافية، كما فسره مجاهد وغيره - قالوا: لنا هذه، أي نحن الجديرون والحقيقيون به، ونحن أهله. وإن تصبهم سيئة. أي بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم فقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال ابن عباس ﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾: ما قضى عليهم وقدر لهم، وفي رواية شؤمهم عند الله ومن

---

(١) هو: علي بن محمد بن عبد الله البصري، أبو الحسن المدائني ولد ونشأ بالبصرة، وسكن المدائن، مؤرخ، إخباري، حافظ، راوية للشعر. من مصنفاته: أمهات النبي ﷺ، كتاب الردة، كتاب الزجر والفأل، مقتل الحسين عليه السلام. توفى سنة (٢٢٥هـ).

قِبَله أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

**قوله:** ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أن أكثرهم جهال لا يدرون. ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

**قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى: ﴿قَالُوا طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[يس:١٩]).**

**شرح:** المعنى - والله أعلم - حظكم وما نابكم من شر معكم، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا. بل ببغيكم وعدوانكم. فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشر فهو سببه الجالب له. وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[القلم:٣٥-٣٦].

ويحتمل أن يكون المعنى: طائركم معكم. أي راجع عليكم، فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم. وهذا من باب القصاص في الكلام. ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام: **«إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»**[(١)] **ذكره ابن القيم.**

**قوله تعالى:** ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الأعراف:٨١] قال قتادة: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟

**ومناسبة الآيتين للترجمة:** أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين. وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك. كما سيأتي في أحاديث الباب.

**قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» أخرجاه[(٢)]. زاد مسلم: «ولا نوء ولا غول»).**

**شرح:** قال أبو السعادات: العدوى اسم من الإعداء. كالدعوى. يقال: أعداه الداء يعديه إعداء إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: كيف يرد على أهل الذمة السلام، حديث (٦٢٥٨)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث (٢١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا هامة، حديث (٥٧٥٧)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: لا عدوي ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء، حديث (٢٢٢٠). وزاد مسلم: «ولا نوء» وأما زيادة -ولا غول» فأخرجها مسلم، حديث (٢٢٢٢) من حديث جابر بن عبد الله.

**وقال غيره**: لا عدوى هو اسم من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره والمنفي نفس سراية العلة أو إضافتها إلى العلة. والأول هو الظاهر.

وفي رواية لمسلم أن أبا هريرة كان يحدث بحديث لا عدوى، ويحدث عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يورد ممرض على مُصِحّ»**.

ثم إن أبا هريرة اقتصر على حديث: **«لا يورد ممرض على مصح»** [(١)] وأمسك عن حديث **«لا عدوى»** فراجعوه وقالوا: سمعناك تحدث به، فأبى أن يعترف به. قال أبو مسلمة - الراوي عن أبي هريرة: فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر؟

وقد روى حديث «لا عدوى» جماعة من الصحابة: أنس بن مالك [(٢)]، وجابر بن عبد الله [(٣)]، والسائب بن يزيد [(٤)]، وابن عمر [(٥)]، وغيرهم، وفي بعض روايات هذا الحديث **«وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»** [(٦)].

وقد اختلف العلماء في ذلك. وأحسن ما قيل فيه: قول البيهقي، وتبعه ابن الصلاح وابن القيم، وابن رجب، وابن مفلح وغيرهم: أن قوله: **«لا عدوى»** على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمور تعدى بطبعها. وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك، ولهذا قال: **«فر من المجذوم كما تفر من الأسد»** وقال: **«لا يورد ممرض على مصح»** وقال في الطاعون: **«من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»** [(٧)] وكل ذلك بتقدير الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، الكتاب والباب السابقين، حديث (٢٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الفأل، حديث (٥٧٥٦)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، حديث (٢٢٢٤).

(٣) أخرجه مسلم، الكتاب والباب السابقين، حديث (٢٢٢٢).

(٤) أخرجه مسلم، الكتاب والباب السابقين، حديث (٢٢٢٠).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا عدوي، حديث (٥٧٧٢)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، حديث (٢٢٢٥).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الجذام، تعليقًا بصيغة الجزم قال: وقال عفان حدثنا ابن حيان حدثنا سعيد بن ميناء قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد». ووصله البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٣٨)، والصغير (٢/ ٨١) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به. وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧٥٣٠)، الصحيحة (٧٨٣).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، حديث (٥٧٢٨)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، حديث (٢٢١٨).

ولأحمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعًا: «**لا يعدي شيء**» قالها ثلاثًا فقال أعرابي: يا رسول الله إن النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فمن أجرب الأول؟ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصائبها ورزقها**» (١).

فأخبر ﷺ أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية. فكما أنه يؤمر أن لا يلقى نفسه في الماء وفى النار، مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر. فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون. فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبباتها. لا خالق غيره ولا مقدر غيره.

وأما إذا قوى التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لاسيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة.

وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي: أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: «**كل بسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه**» (٢) وقد أخذ به الإمام أحمد. وروى ذلك عن ابن عمر وابنه وسلمان رضي الله عنهم.

ونظير ذلك ما روى عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أكل السم ومنه مشى سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني على متن البحر، قاله ابن رجب رحمه الله.

قوله: (ولا طيرة) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا أي لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «**لا عدوي ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها. والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: القدر، باب: ما جاء لا عدوى ولا هامة ولا صفر، حديث (٢١٤٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٠)، حديث (٤١٩٨)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ١١٢)، حديث (٥١٨٢)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧٧٣٣)، وصحيح الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الطيرة، حديث (٣٩٢٥)، والترمذي، حديث (١٨١٧)، وابن ماجه، حديث (٣٥٤٢) وفي إسناده مفضل بن فضالة وهو ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٤١٩٥)، المشكاة (٤٥٨٥)، الضعيفة (١١٤٤).

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ «**ومنا أناس يتطيرون. قال: ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**»[(١)] فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه.

فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السماوات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع ﷺ علق الشرك في قلوبهم، لئلا يبقى فيها علقة منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار ألبتة.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر. فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبني. اهـ ملخصًا.

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة، كقوله ﷺ: «**الشؤم في ثلاث: في المرأة، والدابة، والدار**»[(٢)] ونحو هذا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشئومة على من قاربها وساكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها شؤم ولا شر.

وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويعطى غيرهما ولدًا مشئومًا يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث (٥٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يذكر من شؤم الفرس، حديث (٢٨٥٨)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، حديث (٢٢٢٥).

والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليُمن والبركة له. ويخلق بعضها نحوسًا يتنحس بها من قاربها.

وكل ذلك بقضائه وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة. كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذ بها من قاربها من الناس. وخلق ضدها وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس.

والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل. فهذا لون والطيرة الشركية لون. انتهى.

**قوله**: (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح. **قال الفراء**: **الهامة طير من طير الليل**. كأنه يعني البومة.

**قال ابن الأعرابي** [1]: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعت إلى نفسي أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

**قوله**: (ولا صفر) بفتح الفاء، روى أبو عبيدة **في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال: هي** حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب!

وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير.

**وقال آخرون**: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهو قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه مشئوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك. قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

**قوله**: (ولا نوء) النوء واحد الأنواء، وسيأتي الكلام عليه في بابه إن شاء الله تعالى.

---

(١) **هو**: محمد بن زياد بن الأعرابي، أبو عبد الله الهاشمي مولاهم، لغوي، مؤرخ، نسابة، كان صالحًا زاهدًا ورعًا صدوقًا، حفظ ما لم يحفظه غيره، وسمع من بني أسد وبني عقيل. له مصنفات كثيرة أدبية وتاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع. توفي بسامراء سنة (٢٣١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧).

**قوله**: (ولا غول) هو بالضم اسم، وجمعه أغوال وغيلان، وهو المراد هنا.

**قال أبو السعادات**: الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين.

كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلونًا في صور شتى وتغولهم، أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

**فيكون المعنى بقوله**: «**لا غول**» أنها لا تستطيع أن تُضل أحدًا مع ذكر الله والتوكل عليه. ويشهد له الحديث الآخر: «**لا غُول ولكن السَّعالي**» (١) [السعالي]: سحرة الجن. أي: ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل.

ومنه الحديث «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**» (٢) أي ادفعوا شرها بذكر الله. وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها.

ومنه حديث أبي أيوب (كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجيء فتأخذ) (٣).

**قال المصنف رحمه الله تعالى**: (ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**»، قالوا: **وما الفأل؟ قال**: «**الكلمة الطيبة**» (٤)).

**ش**: قوله: (ويعجبني الفأل) قال أبو السعادات: الفأل، مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر. يقال: تفاءلت بكذا وتفاولت، على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفًا، وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير، وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر.

**وأما الطيرة**: فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، والتفاؤل: أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من

---

(١) أخرجه الخطابي في غريب الحديث (١/ ٤٦٣) من طريق عمرو بن الحسن بن محمد مرسلاً.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٣٦)، حديث (١٠٧٩١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠٥)، حديث (١٤٣١٦)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ١٥٣)، حديث (٢٢١٩)، عن الحسن عن جابر. والحسن لم يسمع من جابر. وانظر ضعيف الجامع (٥٤٥)، الضعيفة (١١٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، حديث (٢٨٨٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٢٣)، حديث (٢٣٦٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٩٤)، حديث (٢٩٧٤٣) وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (١٤٦٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا عدوي، حديث (٥٧٧٦)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، حديث (٢٢٢٤).

مرضه ويجد ضالته. ومنه الحديث: قيل: يا رسول الله ما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة».

قوله: (قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة) بين ﷺ أن الفأل يعجبه فدل على أنه ليس من الطيرة المنهى عنها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم ﷺ أنه حبب إليه من الدنيا النساء والطيب [(١)]، وكان يحب الحلواء والعسل [(٢)]، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه [(٣)] ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم [(٤)].

بالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفوس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال. فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفًا وطيرة وانكماشًا وانقباضًا عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا ونقصًا في الإيمان ومقارفة الشرك.

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، حديث (٣٩٣٩)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٨)، حديث (١٢٣١٥)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٩٩)، حديث (٣٤٨٢)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٥٤)، حديث (٥٧٧٢)، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة» وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣١٢٤)، صحيح النسائي.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأطعمة، باب: الحلواء والعسل، حديث (٥٤٣١)، ومسلم، كتاب: الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، حديث (١٤٧٤) من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: من أحب أن يسمع القرآن من غيره، حديث (٥٠٤٩)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، حديث (٨٠٠) عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن. قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حديث (٣٨٦١)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، حديث (٢٤٧٤)، من حديث ابن عباس وفيه: «..رأيته يأمر بمكارم الأخلاق..».

وقال الحليمي [١]: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك»** [٢]).

ش: قوله: (عن عقبة بن عامر) هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه: عن عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما. وهو مكي اختلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني. واختلف في صحبته، فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المزي: لا صحبة له تصح.

قوله: (فقال: أحسنها الفأل) قد تقدم أن النبي ﷺ كان يعجبه الفأل.

وروى الترمذي وصححه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع: يا نجيح، يا راشد [٣].

وروى أبو داود عن بريدة أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأله عن اسمه فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه [٤] وإسناده حسن.

---

(١) هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي أبو عبد الله الحليمي البخاري، حافظ من فقهاء الشافعية، كان مقدمًا فاضلاً كبيرًا، له مصنفات مفيدة منها: منهاج الدين في شعب الإيمان في نحو ثلاث مجلدات يشتمل على مسائل فقهية وغيرها تتعلق بأصول الإيمان وآيات الساعة وأحوال القيامة، وفيه معانٍ غريبة لا توجد في غيره. توفي سنة (٤٠٣هـ). انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ١٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الطيرة، حديث (٣٩١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٠)، حديث (٢٦٣٩٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٣٩) من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر به. وفي إسناده حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس وقد عنعنه. وعروة بن عامر مختلف في صحبته. وانظر ضعيف الجامع (١٩٩)، الضعيفة (١٦١٩)، رياض الصالحين (١٦٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: السير، باب: ما جاء في الطيرة، حديث (١٦١٦)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٤٩٧٨).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الطيرة، حديث (٣٩٢٠)، وهو صحيح، وانظر الصحيحة (٧٦٢)، صحيح أبي داود.

وهذا فيه استعمال الفأل.

**قال ابن القيم**: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرقي بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة.

**قوله**: **«ولا ترد مسلمًا»** قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.

**قوله**: **«اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت»** أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات، وتدفع السيئات.

**ففيه**: نفيُ تعلُّق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًّا، ويُعدُّ من اعتقدها سفيهًا مشركًا.

**قوله**: ولا حول ولا قوة إلا بك استعانة بالله تعالى على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها. وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

والحول التحول والانتقال من حال إلى حال، والقوة على ذلك بالله وحده لا شريك له. ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته. وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

**قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»** [1] **رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.**

**ش:** ورواه ابن ماجه وابن حبان. ولفظ أبي داود «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الطيرة، حديث (٣٩١٠)، والترمذي، حديث (١٦١٤)، وابن ماجه، حديث (٣٥٣٨)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٩٦٠)، صحيح الترغيب (٣٠٩٨)، الصحيحة (٤٢٩).

شرك». ثلاثًا وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى.

**قال ابن حمدان** [١]: تكره الطيرة، وكذا قال غيره من أصحاب أحمد.

**قال ابن مفلح**: والأولى القطع بتحريمها لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟

**قال في شرح السنن**: وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

**قوله**: (وما منا إلا) قال أبو القاسم الأصبهاني [٢]، والمنذري: في الحديث إضمار. التقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهى.

**وقال الخلخالي**: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة. وهذا من أدب الكلام.

**قوله**: (ولكن الله يذهبه بالتوكل) أي: لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

**قوله**: (وجعل آخره من قول ابن مسعود) قال ابن القيم: وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك.

**قال المصنف رحمه الله تعالى: (ولأحمد من حديث ابن عمرو: «ومن ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك).**

---

(١) هو: أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان الحراني النميري، الحنبلي، نزيل القاهرة، نجم الدين أبو عبد الله: فقيه، عارف بالأصلين والخلاف، والأدب. ولد بحران، وتولى القضاء. من مؤلفاته: الرعاية الصغرى والرعاية الكبرى في فروع الفقه الحنبلي، صفة المفتي والمستفتي. توفي سنة (٦٩٥هـ).

(٢) هو: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي أبو القاسم التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارف بالمتون والأسانيد، عديم النظير، لا مثيل له في وقته. رحل وطوف، وأملى وصنف وتكلم في الجرح والتعديل، كان يحضر مجلس إملائه الأئمة والحفاظ والمسندون، وبلغ عدد أماليه نحوًا من ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلس. من تصانيفه: التفسير الكبير ثلاثون مجلدا، والمعتمد في التفسير عشر مجلدات، إعراب القرآن العظيم، الترغيب والترهيب، السنة، دلائل النبوة شرح البخاري، شرح مسلم، وغير ذلك، وله فتاوى كثيرة وكان أهل بغداد يقولون: ما دخل بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه. توفي يوم الأضحى سنة (٥٣٥هـ). انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٣٠١).

ش: هذا الحديث رواه أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقات.

قوله: (من حديث ابن عمرو) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد. وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء. مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف.

قوله: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كإرادة السفر ونحوه، فمنعه عما أراده وسعى فيه ما رأى وما سمع تشاؤمًا، فقد دخل في الشرك. كما تقدم، فلم يخلص توكله على الله بالتفاته إلى ما سواه فيكون للشيطان منه نصيب.

قوله: (فما كفارة ذلك؟) إلى آخره. فإذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه، ولم يلتفت إليه، كَفَّر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداء لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده، والإعراض عما سواه.

وتضمن الحديث أن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه، وأما من لم يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يُعاقب بالوقوع فيما يكره، لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله، وأن الخير كله بيده، فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه وإحسانه، فلا خير إلا منه، وهو الذي يدفع الشر عن عبده فما أصابه من ذلك فبذنبه، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وله من حديث الفضل بن عباس «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك»).

ش: هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يومًا، فبرح ظبي، فمال في شقه فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تطيرت، فقال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» (١).

وفي إسناده انقطاع، أي بين مسلمة راويه وبين الفضل، وهو الفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ. قال ابن معين: قتل يوم اليرموك. وقال غيره: قتل يوم

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢١٣)، حديث (١٨٢٤).

مرج [١] الصفر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة . وقال أبو داود : قتل بدمشق . كان عليه درع رسول الله ﷺ .

قوله : (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) هذا حد الطيرة المنهى عنها : أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده ، ويمنعه من المضي فيه كذلك .

وأما الفأل الذي كان يحبه النبي ﷺ فيه نوع بشارة ، فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف ما يمضيه أو يرده ، فإن للقلب عليه نوع اعتماد . فافهم الفرق والله أعلم .

(١) المَرْجُ : الأرض الواسعة فيها نبت كثير تَمْرُج فيه الدواب أي تُخَلَّى تَسْرح مختلطة كيف شاءت ، والصُّفَّر : بليدة في ضواحي دمشق . انظر النهاية (٣/ ٣٧) .